الصبر وثمرته

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

يقول الله عز وجل ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧] ، ففي هذه الآيات الكريمات يخبر الله عز وجل أنه يبتلي عباده المؤمنين ببعض الأذى والمخاطر في الدنيا ليختبر فيهم ميزان الصبر ثم بشرهم بأمر عظيم فقال سبحانه : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ الصابرين من هم؟الذين يأخذون أجورهم بغير حساب الذين لهم في الآخرة عقبى الدار﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ لذلك قال سفيان بن عيينة رحمه الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين والذي لا يصبر فإنه من السهل أن يتنازل عن دينه ويتخلى عن منهجه قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)** ﴾[الروم : ٦٠] ، ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧] ، لهذا سئل الإمام الشافعي رحمه الله فقيل : يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ ، فقال : لا يمكَّن حتى يبتلى فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين فصبروا حتى مكّنوا ، والحقيقة أن البلاء غالباً يكون دليل خير وليس دليل شر كما قال ﷺ : «**إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» .

الصبر:

الإنسانُ في هذه الدنيا معرض للمصائب والمحن والابتلاءات وهو إنسان ضعيف مسكين لا حول له ولا قوة ولكن الله عز وجل أمره بسلاح عظيم أقوى من سلاح النار والحديد ألا وهو الصبر الذي هو منزلة الرأس من الجسد ، وما أعطي أحد عطاءً خير وأوسع من الصبر وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه الكريم في مواضع كثيرة وقرنه بالصلاة كما في قوله تعالى﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)** ﴾ [البقرة:٤٥]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)** ﴾ [البقرة:١٥٣]، فالصلاة من أكبر العون على الثبات عند الشدائد والمصائب فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه شئ من الأمر فزع إلى الصلاة وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه وهو في سفر فاسترجع ثم أناخ راحلته فصلى ركعتين ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول:﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)** ﴾ والصبر منزلة رفيعة لا يبلغها إلاَّ عباد الرحمن الذين ذكروا في قوله تعالى:﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً (٧٥)** ﴾[الفرقان:٧٥] ،وحقيقة الصبر هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، والشكوى إلى الله تختلف عن التشكي، فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر فإن يعقوب عليه السلام قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف: ٨٣] ثم شكى حاله إلى الله فقال:﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦)** ﴾ [يوسف:٨٦] ، فقد بدأ أولاً بالصبر الجميل ثم قدم شكواه إلى الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه ، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه. وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** ﴾ [التحريم: ١١] ، أي لا تكون في الصبر عند الشدائد أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون. قال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملاء فقال لهم: ما تعلمون من آسيا بنت مزاحم؟، فأثنوا عليها خيراً ،فقال لهم: إنها تعبد رباً غيري ، قالوا: اقتلها فأوتد لها أوتاداً وشد وثاقها فصبرت وقالت: ﴿ **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾** ﴾ [التحريم :١١] .

قال سيد قطب رحمه الله : موقف امرأة فرعون مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة عظيمة عند أعظم ملوك الأرض يومئذ في أمتع مكان تجد فيه ما تشتهي لكنها استعلت بإيمانها على هذا كله، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاءً تستعيذ بالله منه، لهذا قيل بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [السجدة : ٢٤] .

الصبر عند المصيبة :

الإنسان مطالب بالصبر عند حوادث الزمان وفجائع الأيام كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾** ﴾ : فصلت: ٣٥] .

قال أبو السعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل ،وقد روي أن امرأة أصيبت بفقد ولدها فجعلت تبكي وتصيح فقال لها النبي ﷺ : «**اصبري واحتسبي**» ، فقالت له: إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ، ولم تكن تعلم أنه رسول الله ﷺ ، فلمَّا

أخبرت بذلك جاءت تعتذر للنبي ﷺ فقال لها: « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» ، لذلك وصف الله عز وجل الصابرين عند المصائب بأنهم من المتقين الصادقين ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة :١٧٧]، وقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة** » ، وقال أيضاً: «**ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا غم ، ولا حزن ،حتى الشوكة يشاكها ،إلاَّ كفَّر الله بها من خطاياه**». وقال ﷺ لامرأة من الصحابيات: «**أبشري فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه ،كما يذهب النار خبث الحديد والفضة** ». وبشر ﷺ الأمهات الثكالى اللاتي فقدن أولادهن بقوله: « **ما منكن من امرأة تُقدم ثلاثة من الولد إلاَّ كانوا لها حجاباً من النار** ، فقالت امرأة واثنين، قال **واثنين**».

فهذه الأحاديث بشرى للمؤمنين ليعلموا أن ذلك من عند الله تعالى وأن سببه من عند أنفسهم كما قال تعالى :﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠]،﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)**﴾ [الحديد :٢٢-٢٣] .

الاسترجاع عند المصيبة:

فاحذروا عباد الله من الغضب والتشكي عند المصائب ، بل الأولى لك ثم أولى لك أيها الإنسان أن تقول: إن لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها. لما روي من حديث أبي سلمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: « **لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاَّ فعل ذلك به** » ،

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إن لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاَّ أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها** » ، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما توفي أبو سلمة قلت بما سمعت ، فأخلف الله لي برسول الله ﷺ .

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سُننه عن أبي سنان قال: دفنت ابناً لي وبينما أنا في المقبرة أخذ بيدي أبو طلحة الخولاني وقال لي: ألا أبشرك؟ قلت: بلى قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله عز وجل « يا ملك الموت قبضت ولد عبدي؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال: نعم قال: فماذا قال عبدي؟ قال: حمدك واسترجع ، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد** ».

وكان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: « **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** ». وإذا أتاه الأمر يكره قال: « **الحمد لله على كل حال** ». صحيح الجامع ، ولذلك فقد بشر الله هؤلاء المسترجعين بالرحمة والصلاة عليهم من الله حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ .

[البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

الرضا بأقدار الله وعدم التسخط منها:

اعلموا أيها الناس أن الرضا لا بد أن يسبقه الابتلاء لقول الرسول ﷺ : « **إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط** ». والإنسان يجب أن يتسلح بسلاح الصبر والشكر والرضا قال تعالى آمراً نبيه ﷺ ﴿ **فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[الأعراف : ١٤٤] ، ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ [النحل : ١٢٧ - ١٢٨] .

ويلزمك التسليم والإذعان لقضاء الله وقدره ولا تقل كما جاء في الحديث : « **لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان** » رواه مسلم. إن تذكر الماضي والتفاعل معه والحزن لمآسيه حمق وجنون ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة: ١٤١] ، واستباق الأحداث لمعرفة المستقبل المجهول نوع من أنواع السحر والشعوذة والهبل ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ① ﴾ [النحل: ١] ،ومن لوازم « **رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً** » ، أن ترضى بما قسم الله لك إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر فالساخطون دائماً ناقمون غاضبون كيف لا وقد عرَّضوا أنفسهم لسخط الله ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ⑨ ﴾ [محمد: ٩] ، والذي لا يرضى بأقدار الله ولا يسلِّم أمره إلى الله فليبتغي ﴿ **نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، وإن شاء ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴾ [الحج : ١٥] ، ولكم في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة ، عندما توفي ولده إبراهيم عليه السلام قال: « **إن القلب ليحزن ،والعين لتدمع ،ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا ،وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون** » .

الصابرون:

وعد الله الصابرين بالفوز والفلاح حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ⑳⓪ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، قيل في نزول هذه الآية أنها نزلت في قوم كانوا يعمرون المساجد ويصلون الصلاة في وقتها فعليهم أنزلت ﴿ **اصْبِرُوا** ﴾ أمَّا المرابطة فهي الثبات والمداومة في مكان العبادة ، وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة ، يشهد لذلك ما

رواه مسلم في صحيحه والنسائي في سُننه قوله عليه الصلاة والسلام: « **ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط** ». وأقسم الله تعالى بأنه سيجازي الصابرين على صبرهم وأكد ذلك باللام حيث قال:﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٦]، وبين أنه يحبهم فقال : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ،وأخبر أنه معهم ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال : ٢٦] ، لهذا أثنى الله عز وجل على بعض أنبياءه لأنهم من الصابرين حيث قال : ﴿ **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)** ﴾ [الأنبياء: ٨٥] ، وأثنى على أيوب لأنه صبر على البلاء ثماني عشرة سنة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص: ٤٤] ، ويكفي الصابرين فخراً وشرفاً أن ملائكة الرحمن تهنئهم بالخاتمة الحسنة كما ورد في الآية الكريمة ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] .

فقد ثبت عند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **أول ثُلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول :أين عبادي الذين قاتلوا وأوذوا وجاهدوا في سبيلي أدخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب فتأتي الملائكة فيسجدون، ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك فمن هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادي الذين جاهدوا وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب وهم يقولون ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾** ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢)** ﴾ [الإنسان : ١٢] ، وثبت في الحديث

أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل عام فيقول لهم : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ، وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لذلك قال الأوزاعي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] ، قال: لا يُوزن لهم ولا يُكال إنما يُغرف لهم غرفاً.

opeikandl.com